المربي

شرح صلاة ربي

مختصر سيرة خير الأنام، شمائل، خصائص، معجزات

تأليف الشيخ العلامة

محمد بن سعيد اليدالي الديماني الشنقيطي

(١٠٩٦ _ ١١٦٦ هـ)

تحقيق وتعليق الدكتور

محمد بن أحمد بن الطالب عيسى الأمسمي الشنقيطي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد فهذا كتاب : (المربي شرح صلاة ربي) أقدمه للمبتدئين ، والمنتهين ، وما بينهما من الباحثين والدارسين ، لعلمي أن الجميع يحتاجه ويستفيد منه .

وقد دفعني إلى بذل هذا الجهد في تحقيقه ونشره أمور عديدة نذكر منها ما يأتي :

أ ـ إنه كتاب سهل ممتنع يوجز لك السيرة النبوية بروح المحبة والتذوق الرفيع ويلخص لك الشمائل والخصائص والآيات بأسلوب شائق يبعث فيك الروح الإيمانية بالبرهان والحجة مع المتعة الوجدانية والأدبية ، وهذا مبتغى كل مسلم عاقل [1] .

ب ـ وأن لي صلة وطيدة بالبيئة العلمية التي أخرجت هذا الكتاب حيث إني كتبت جزئين كبيرين عن بلاد شنقيط بعنوان : القادرية في موريتانيا ، فكان لي بذلك تخصص في المناخ العلمي والفكري والأدبي ، فيكون هذا الكتاب من فروع التخصص الذي ينبغي لي العناية بها ومتابعة جهود العلماء فيها [2] .

جـ ـ وموضوع الكتاب وهو ـ الشمائل والخصائص والمعجزات ـ هو ميدان أطروحتي للدكتوراه [3] حيث تناولت النبوة والرسالة مفهوما ووحيا ومعجزة ، فتعرفت من خلال ذلك البحث على شدة حاجة الناس للنبوة ومعارف الأنبياء وما جاؤوا به من تشريع وأحكام وعبادات وأخلاق وآداب ، وعلمت ما ينطوي عليه الانحراف عن منهج الكتاب والسنة من مفاسد عظيمة .

---

(١) انظر المقدمات التي قدم بها المؤلف لهذا الشرح .

(٢) انظر (القادرية في موريتانيا)، رسالة العالمية (الماجستير) من جامعة أم القرى عام ١٤١٢هـ.

(٣) انظر (النبوة والرسالة بين الإمام الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية) من جامعة أم القرى عام ١٤١٨ هـ .

وقد وجدت أن هذا الكتاب يصب في بيان حاجة الناس المستمرة للاقتداء بـالنبي ﷺ في أخلاقه وشمائله واتباع أقواله وأفعاله وأحكامه وعباداته وسياساته مع إبراز مكان النبـوة وعظمها وفضل الأنبياء وقوة براهينهم على نبواتهم وإعجاز آياتهم التي جاؤوا بهـا لكـل المخلوقات ، وبهذا يكون موضوع الكتاب فعلا من تخصصي واهتمامي .

المؤلف والكتاب

المؤلف هو الشيخ العلامة محمد بن المختار بن محمد ساعيد بن المختار بن عمر بن علي بن يحيى الشمشوي حلفا إدوداوي قبيلة [١] .

ولد المؤلف عام ١٠٩٦ هـ وتوفي سنة ١١٦٦ هـ رحمه الله تعالى

مكانته العلمية : تدلنا مؤلفاته على أنه عالم جليل موسوعي الثقافة ناضج العقل نير الفكر قوي الإرادة صلب العزيمة ثاقب الذهن أبي النفس عالي الهمة [٢] .

لذلك فقد اعتنى به أهل التفسير والقراءات [٣] وأهل الأدب والشعر والنحاة [٤] وأهل الفقه والتصوف والكرامات [٥] وأهل التاريخ والسير والرحلات [٦] .

وأقبل على تحقيق كتبه وتراثه مؤخرا أصحاب البحوث والدراسات [٧] من أهل قطره الشنقيطي .

أما الكتاب فقد تحدث عنه المؤلف في مقدمات قدمها بين يدي الشرح بين فيها السبب الباعث لإنشاد هذه الأرجوزة المديحية وأعلن فيه أول خروج يعرف في بلاد شنقيط على القوافي الشعرية المعروفة للقصيدة العمودية حيث دفعه الإمعان في سلب صاحب

---

(١) انظر الشيخ محمد سعيد اليدالي ووسطه الاجتماعي ١٩ وما بعدها ، وهامش ص٥٧_٥٩ .

(٢) السابق ٢٥ .

(٣) انظر المصدر السابق وبلاد شنقيط المنارة والربلط ٢٤٠ _ ٢٤٢ و ٣١٤ و ٥٢٩ و ٥٣٥ وما بعدها وانظر سرد مؤلفاته في الفهرس العام لبلاد شنقيط ٦٠٥ ، ٦٠٦ .

(٤) انظر المعارضة في الشعر الموريتاني ٢٦ وما بعدها ، و ١٦١ و ٢١٦ والمنهل العدد (٥٤٧) عام ١٤١٨ هـ الصفحات :١٣٠ _ ١٣٩ وراجع العدد الذي بعده ، والوسيط ٨ _ ١٠ و ٢٢٦ _ ٢٣٦ .

(٥) انظر فتح الشكور ١٢٢ ، ١٢٣ واليدالي ووسطه الاجتماعي ١٩ _ ٢٩ وانظر هامش (٩) من ص٢٩ .

(٦) راجع عمود النسب ، تحفة الألباب شرح الأنساب ٣١/١ وما يأتي في مقدماته عن رحلاته إلى أقادير دوم .

(٧) انظر ما أورده كل من الأستاذ محمذن ولد باباه في معرض ذكره لأهم مراجع ترجمة اليدالي وما قدم حوله من بحوث غير منشورة في جامعة نواكشوط ١٩ _ ٣٥ بهوامشها وبلاد شنقيط ٣١٤ و ٦٢٤ و٦٣٧ .

الأنشودة المتغنى بها أن ينسج بالفصحى قصيدة على وزنها وهو ما يسمى (بالرسم) في الوزن الحساني ، كما تحدث عن السبب المباشر لشرحها ، وهو طلب بعض الإخوان لذلك مع التيمن والتبرك ، ثم عرض إلى بيان ما ناله من البركات التي أنقذه الله بها وكانت كفيلة بالقضاء عليه من الغرق في المحيط الأطلسي ودعوة كبير النصارى في عقر داره ، وغضب الزعيم الذي كاد يعصف به لمحاكاته مدحته التي كان المداحون يتغنون بها وما آل إليه الأمر في ذلك من الإذعان والصداقة والأهديات المتوارثة ثم إنه رحمه الله امتدح أصل الأرجوزة وشرحها ، وأطنب في ذلك واعتذر عنه وبرره وأرجعه إلى رفعة ممدوحها وبركة مدحه ووجوب ذلك وكونه علامة على المحبة ومصداق الاقتداء والاتباع .

وقد كان أسلوبه في هذا الشرح أسلوبا راقيا ومراجعه فيه معروفة ومتداولة .

عملي في هذا التحقيق

من المعروف ـ لدى كل طالب علم من بلاد شنقيط (موريتانيا) ـ أن مديحة : صلاة ربي مع السلام .. للشيخ محمد سعيد اليدالي بلا نزاع وأن شرحها المسمى : (المربي على صلاة ربي) أو (المربي شرح صلاة ربي) أو المربي على شرح صلاة ربي) هو من تأليف صاحب الأرجوزة كذلك ، وما ذلك إلا لشهرته وكثرة تداوله بين الناس وتعدد نسخه [1] .

قال البرتلي : (وله قصيدة ميمية عجيبة من أحسن القصائد في مدح النبي ﷺ في سبعة وأربعين بيتا خارجة عن بحور الخليل بن أحمد الخمسة عشر وعن المتدارك والخفيف (ثم ساق منها شيئا) وقال : (تلقاها الناس بالقبول ، وكذا غيرها من تواليفه الحسان . وشرحها شرحا عجيبا مفيدا ، ولها بركة عظيمة وفضائل ، ومن أراد فضائلها فلينظره في شرحها) [2]

ويقول محمذن ولد باباه في معرض التعريف بشاعرية المؤلف (اليدالي) :

(وأهم أغراض شعره ، شعر المناسبات ـ الشعر الوجداني ـ الابتهالات ـ المديحيات ، تتجلى شخصية اليدالي الروحانية الربانية في مدحه للنبي ﷺ ، ومن أشهر قصائده في هذا المضمار قصيدة (صلاة ربي) حيث يتحول فيها إلى رجل أشواق وأذواق وأحوال ربانية ، وقصيدته التي نسجها على وزن حساني (وهو الرسم) لا مثيل له في بحور الشعر العربي . كانت هذه القصيدة وما زالت تحفظ للناشئة على سبيل التحريز والتبرك والتذوق الفني ، شرحها اليدالي في كتاب جزيل ، جمع فيه قواعد الشعر ببحوره ومقاييسه وفنونه ومحسناته ، محددا ما هيته في قوله : فالشعر صناعة لفظية لا تسكب إلا بالتروض عليها : ثم هي قريحة فطرية محكها الذوق .

---

(١) انظر فهرست مخطوطات دار الثقافة بانواكشوط ٢٤١ والشيخ محمد اليدالي ، نصوص من التاريخ الموريتاني ٢٥ ، ٢٦ وهامش ١٨ من ٣٩ وبلاد شنقيط ٦٣٧ عند ذكره لاطروحة فاطمة بنت محمد محمود : الوعي النقدي في الأدب الموريتاني من خلال الوسيط والمربي ، نواكشوط ١٩٨٥ م غير منشورة .

(٢) فتح الشكور ١٢٣ .

سمى اليدالي هذا الكتاب (المربي على شرح صلاة ربي) خصص القسط الأوفر منه لعرض صفات الرسول عليه الصلاة والسلام وآياته ومعجزاته [1] هذا عن قضية إثبات نسبة الكتاب إلى المؤلف مع شيء من قيمته الدينية والعلمية عند العلماء .

أما عن جهودي في تحقيق النص وتصحيحه فإني نسخت الكتاب عن نسخة عتيقة كتبها عالم متمرس في عملية النقل والنسخ ولو لم يذكر اسمه ولا تاريخ نسخه لها ، ولكن يعرف ذلك من دقته في الإملاء ووضع الحروف مع التصحيح وقد كان من عمله العجيب أنه يحافظ على أن تكون كل صفحة فيها خمسون سطرا والورق الذي كتب عليه غليظ وكبير الحجم ، فلعله هو الذي سماه المؤلف بالكاغد الشاطبي الذي أتحفه به أهل أقادير عندما زارهم وكان يقول فيه عندما كان يكتب ويؤلف كتابه الذهب الابريز على كتاب الله العزيز وهو من آخر مؤلفاته [2]

وأعني يا ذا الجلال عليه ... وأعن من يعيني يا معين
بمداده أو مزبر أو بدلك ... للقراطيس إذ بذلك تلين [3]

وبعد أن تم النسخ قمت بالمقابلة التامة مع الأصل كلمة كلمة واستدركت ما فاتني ، ثم حصلت على نسخة أخرى طلبتها من أحد الإخوان فأحضروها لي من نواكشوط ثم

---

(١) الشيخ محمد اليدالي مصدر سابق ٢٥ ، ٢٦ وكان من الأسباب التي دفعتني لتحقيق هذا الكتاب أن الأستاذ محمذن ولد باباه أثنى عليه هذا الثناء العطر و لم يعتن بإخراجه قبل أخبار الولي ناصر الدين التي استلها منه وحققها ونشرها و لم يعلق عليها من الناحية العقيدية واكتفى بأنها كرامات ومكاشفات مع ما فيها من ادعاء علم ما في الضمائر وعلم ما في غد ولا شك أن نسبة ذلك للإمام ناصر الدين تنافي ما نسب إليه من علم وصلاح وإصلاح ، وعندي أن هزيمة الزوايا المذكورة من أعظم أسبابها هذه المعتقدات إن صحت عنهم وقد أحلت على الكتاب الذي بينت فيه ذلك سابقا .

(٢) انظر فهرست مخطوطات دار الثقافة بانواكشوط ٢٤٠ وفتح الشكور ١٢٣ والشيخ محمد اليدالي ٢٦ .

(٣) انظر بلاد شنقيط ٢٣٥ .

أخذت في مقابلة الكتاب من أوله إلى آخره عليها وعلى الأصل الذي نسخ عليه وصحح من قبل وأثبت الفروق في الهامش [1] .

ثم إنني أرجعت النصوص المنقولة لمصادرها الأصلية إذ يكثر المؤلف رحمه الله من النقل عن الشفا للقاضي عياض ، وعن المواهب اللدنية للقسطلاني ، وعن المنح المكية للهيثمي وعن الخصائص الكبرى للسيوطي ، فهذه في الغالب هي مراجعه ، هذا علاوة على عزو الآيات والأحاديث وتوثيق كثير من المسائل المذكورة بدون إشارة من المؤلف إلى مرجعها الأصلي .

ولا أريد إطالة الكتاب بدراسة حوله ولا نقد لمنهجية المؤلف فيه مكتفيا بما يجده الباحث من دراسات حول المؤلف وتراثه في الإحالات السابقة وبما يراه إن شاء الله تعالى في المصادر التي اعتمدناها في تحقيق النص وما تضمنه ذلك من معلومات قيمة .

كتبه / محمد بن أحمد بن الطالب عيسى الأمسمي الشنقيطي

---

(١) قام بالمقابلة معي مشكورا مثابا من الله تعالى كل من الشيخ أبي هريرة علماً : أبيهيه أحمد سالم السباعي ، والدكتور / محمد بن سيدي عبد القادر ، وكان الجهد الأوفر من ذلك على الأستاذ / إبراهيم ولد أب الحسني الشنقيطي .

اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم

مبارك الابتداء ، ميمون الإنتهاء

يا ربنا عونك يا معين ، إياك نعبد ونستعين

يسر يا ربنا ولا تعسر ، أنت الذي بك الأمور تصدر (١)

يقول الفقير لعفو الله تعالى محمد بن سعيد أسعدنا الله في الدارين ، آمين :

الحمد لله الذي أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية في [حضرة القدسية] [٢] (٣) ثم نسخ منها العوالم كلها [علويها][٤] وسفليها على ما اقتضاه كمال حكمه ، وسبق في إرادته وعلمه ، فكان ﷺ هو الجنس العالي على جميع الأجناس ، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس ، فهو نبي الأنبياء [ووساطة جميع الأصفياء ، فكان أول الأنبياء][٥] سبقا ، وآخرهم خلقا (٦) .

وصلى الله على سيدنا محمد المختص بالأوصاف الجميلة ، والفضائل الجليلة ، وخصال الكمال ، ونعوت الجلال ، والمقتعد حقا ذروة الكمال والفخار ، والمبتعث من أطيب عنصر وأكرم نجار، وسر السر ، ولباب اللباب ، وخيار الخيار ، وصفوة الصفوة ، وخلاصة الخلاصة ، وصميم الصميم ومصاصة المصاصة وآله وصحبه وأزواجه وذريته ومحبيه [وأمته][٧] [وعلينا معهم][٨] أجمعين (٩) .

---

(١) انظر عادات علماء شنقيط في اختيار عبارات حسنة وأدعية في مطلع تآليفهم ، بلاد شنقيط المنارة والرباط ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

[٢] ب : في حضرة الأحدية .

(٣) انظر فيما يشير إليه المؤلف رحمه الله رسالة صغيرة درس فيها مؤلفها أثابه الله أحاديث النور وقدم نبوة محمد ﷺ بعنوان : النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلو الغالين ، تأليف عداب محمود الحمش ، دار حسان للنشر ، ط١ ، ١٤٠٧ هـ ٢٢ وما بعدها وراجع الشفا للقاضي عياض ٩٣/١ وما بعدها ، ومعلوم أن أحاديث النور المحمدي من روايات أهل التشيع الضعيفة .

[٤] ب : علوها .

[٥] ج : سقط من " ب " .

(٦) وراجع الشفا للقاضي عياض ٩٣/١ وما بعدها .

[٧] ب : وأمتنا .

[٨] وعليهم .

(٩) انظر المواهب اللدنية ٥٥/١ وما بعدها ، المنح المكية ٢٨/١ ـ ٣٠ .

وبعد فإن مدحه ﷺ [من] [١] أفضل الأعمال ، وأجل ما [يتوسل] [٢] به إلى نيل الآمال لحديث : (من مدحني ولو ببيت واحد كنت له شفيعا يوم القيامة) [٣] وقد كنت مدحته ﷺ بقصيدتين ميميتين تبركا بحرفين من اسمه ﷺ ورجاء أن أندرج في سلك خدمة [جنابه] [٤] [العلي] ، وأنخرط في عقد مدحة كماله [الجلي] [٥] * .

ثم طلب مني بعض الإخوان أن أشرح الصغرى منهما شرحا يتضمن بسط موجزها وحل ملغزها ، ويكشف [القناع] [٧] عن محاسنها ، [ويحجب] [٨] أسرارها [المحجبة] [٩] من أماكنها ، ويفصح عن بعض بلاغتها ، ويعرب عن بعض أنواع بديع براعتها ، ويجلو عرائس أبكارها ، [ويظهر] [١٠] مخبئات أسرارها على وجه الإختصار ، وحذف أسانيد الأحاديث والأخبار ، فأجبته إلى ذلك بعد الاستخارة [١١] .

قال شهاب الدين الدمشقي في المقاصد السنية في شرح المقاصد النبوية : (ثم على المادح أن [يصون] [١٢]مدح المصطفى ـ ﷺ ـ عن شوبه بمدح أحد غير آله [وأصحابه][١٣] ، والغزل وتضييع الزمان في وصف جمل أو ناقة ، بل يجرد عزمه ويصرف

---

[١] ب : ساقط [من] .

[٢] ب : يتوصل .

(٣) انظر الشفا ١/٣٤٧ وما بعدها و لم نجد بعد البحث هذا الحديث المذكور .

[٤] ب : العالي .

[٥] ب : الحالي .

* لعله يقصد كتابه (واضح المذاهب في سيرة المختار خير المذاهب) انظر الشيخ محمد اليدالي ٢٧.

[٧] ب : الضياء .

[٨] ب : ويبرز .

[٩] ب : المحتجبة .

[١٠] ب : [لخطابها] ساقطة .

(١١) انظر سنية الاستخارة من كتاب الدعوات من صحيح البخاري ، باب الدعاء عند الاستخارة، ١١/١٨٣ وأنظر بيان عادتهم في افتتاح التآليف بدعوى الطلب والإلحاح من الإخوان والطلاب وإظهار العجز والقصور ، بلاد شنقيط ٣٦ .

[١٢] ب : يصدق .

[١٣] ب : وصحبه .

همه [إلى] [١] مجرد المدح والثناء إلا ما يلائم ذلك من نحو التضرع وشكوى الذنوب والتوسل به ﷺ مجتهدا في تصحيح نيته) هـ (٢) [باختصار] [٣] [فلذا] [٤] تركنا التغزل في أول هذه القصيدة ، وختمناها بالتضرع وشكوى الذنوب والتوسل به ﷺ ، [على أني أسأل من المتحلي بحلية] [٥] الإنصاف ، [والمتخلي] [٦] عن رذيلتي الحسد والاعتساف ، أن يصلح بعد التأمل ما عثر عليه من الخلل [ولايتبع] [٧] [العثرات] [٨] والزلل ، ويستحضر أن لكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة (٩) .

---

[١] ب : إلى .

(٢) لعله شهاب الدين العمادي الدمشقي انظر الإعلام ١٧٨/٣ وخلاصة الأثر ٢٣١/٢ ، ٢٣٥ .

[٣] ساقطة من " ب " .

[٤] ولذا .

[٥] بحلى .

[٦] المتخلي .

[٧] [ولا يتبع] وهو الصواب .

[٨] الهفوات .

(٩) انظر الهام المؤلف لأهل زمانه بالحسد وعدم الإنصاف في مقدمة كتابه (فرائد الفوائد) وانظر الشيخ محمد اليدالي للأستاذ محمذن ولد باباه ٢٤ ، وحيث إنني لا أدعي لنفسي توفر هذه الشروط ، فقد أعطيت الكتاب بعد تصحيحه حسب الجهد للعلامة الشيخ محمد الحسن ولد الددو لظني توفرها فيه و لم يذكر لي أي ملاحظة تسجل . حفظه الله .

مقدمة في أمور

الأول : سبب إنشادي [١] هذه القصيدة أني مررت يوما وأنا على جناح [بعض][٢] الأسفار ببعض أرباب الملاهي والأوتار ، يردد نغما من الألحان المطربة الملحونة ، وفنا من الأغاني الحسنة الحسانية الموزونة [٣] ، فشغفت بذلك الفن ، وطن على أذني منه ما طن ، فاستحسنت [٤] أن أمدحه عليه الصلاة والسلام [٥] بقصيدة عربية على أسلوب تلك الأنغام ، فنسجت على منوالها ، وحذوت على مثالها ، فأتيت على ذلك الأسلوب بقصيدة عربية أعجوب ، على نوع من التعديد غريب ، ونمط من الانسجام عجيب ، وأسلوب من النظم الرشيق البديع ، وفن من الوزن الفائق المنيع ، اشتملت على ألفاظ رقيقة ، ومعان دقيقة ، ونكت أدبية ، ولطائف بيانية ، ودرر من البديع مكنونة ، وجواهر منه [على [٦]] أيدي الابتذال مصونة ، فسهل علي والحمد لله موازينها في العربية ، وما ذلك إلا ببركة ممدوحها ، أشرف البرية ﷺ ، وشرف وكرم ، فصغتها صوغ التبر الأحمر ، ونظمتها نظم الدر والجوهر [٧] ، وزففتها عروسا عليها من جواهر المعاني تاج مكلل ، ومن المحسنات اللفظية والمعنوية أبدع حلل ، تتيم ذوي الألباب ، وترقصهم [طربا] [٨] وتميم أهل الآداب وتذهلهم عجبا، وتصيد قلوبهم بشبكات ألفاظها [اللطيفة] [٩] ، وحبائل فواصلها المستطابة الشريفة حتى إن النفوس تكاد ترشفها عسلا ومداما ، والأذواق السليمة تهيم في محاسنها غراما ، فكل فاصلة منها درة يتيمة ، وجوهرة لها في سوق الأدب أعلى قيمة ، قال:

---

[١] ب : إنشاء .

[٢] ب: ساقطة .

(٣) انظر الوسيط ٢٢٤ و ٥١٣ .

[٤] ب: واستحسنت .

[٥] ب : صلى الله عليه وسلم .

[٦] ب : عن .

[٧] ب : الدرر والجواهر .

[٨] ب : ساقطة .

[٩] ب : اللفظية .

لها من طراز الحسن وشي منمق ومن صفة الإحسان تاج مرصع

وقال :

ففي كل لفظ منه روض من المنى وفي [1]كل بيت منه عقد من الدرر
فطرزتها حلة سيراء على سنن يقطع أعناق الشعراء

عن أن تشرئب [2] أفكارهم إلى محاذاتها أو تطمح أذهانهم إلى محاكاتها ، إذ لقصر فواصلها يعسر [عليهم] [3] على منوالها الإنشاد ، بحيث لا يقدر الشاعر أن يأتي بكمال غرضه المراد ، فجاءت بحمد الله تعالى لطلاوة نظمها ، وحلاوة رسمها ونهاية بلاغة جمعها ، وغاية براعة صنعها ، ولذيذ مذاقها ، ولطيف مساقها ، وانسجام ألفاظها ، ورقتها وعذوبة معانيها ، ودقتها عجيبة الأوضاع ، عذبة الألفاظ في الأسماع ، جزلة المباني ، بديعة المعاني ، عديمة النظير ، بديعة التحرير ، آخذة بأزمة العقول [4] ، على أن : سيدي عبد الله بن محمد [5] [بن القاضي (6) الجامع بين المعقول والمنقول] [7] سئل عن أشعار زوايا (8) القبلة فقال : لا أدري ، إلا أن قول القائل :

آيات طه ليست تباهى ولا تناهى على الدوام (9)

---

[1] ب : وفي كل عقد منه بيت من الدر .
[2] في " ب " : تشرب .
[3] ساقطة من " ب " .
[4] المعقول والمنقول ساقط من " ب " .
[5] في " ب " : محم .
(6) انظر الوسيط ص1 ، و ما بعدها .
[7] ساقط من " ب " .
(8) انظر المقصود بالزوايا في التعليق على شيم الزوايا للمؤلف ٥٨ ، ٥٩ والقبلة مصطلحا الناحية الغربية من بلاد شنقيط مما يلي الساحل على المحيط الأطلسي.
(9) انظر البيت ٣٦ من القصيدة .

لا يباهى هو أيضا ، ولا قيل مثله قط [١] في القبلة .

الثاني : إنما أطنبت في مدح هذه القصيدة ، وحق لها ذلك ، لأن فيها مدحه ﷺ وحق لكل كلام فيه مدح النبي ﷺ أن يمدح ، ولأن لي في ذلك أسوة ، إذ لم يزل [٢] الشعراء والصالحون قديما وحديثا يمدحون أشعارهم ، فقد مدح البوصيري قصيدته الهمزية في مدح النبي ﷺ قال :

حاك من صنعة القريض بـرودا ... لـك لم يحـك وشـيها صنعـاء

أعجز الـدر نظمـه فاسـتوت ... فيـه اليـدان الصنـاع والخرقـاء [٣]

أي نسج خاطري من صنعة الشعر قصيدة في مدحك لم تحك [٤] وشيها صنعاء ، وهي مدينة باليمن مشهورة بجودة النسج والوشي ، ونظم هذه القصيدة المشتملة من البلاغة على غاية لم يشتمل عليها الدر النفيس المنظوم الذي يدهش الفكر ويخطف البصر لضوئه وصفائه .

ومدح أيضا قصيدته البردة بقوله :

فـلا تقـل لي بمـاذا نلـت جيدهـا ... فمـا يقـال لفضـل الله ذا بكـم

لولا العناية كـان الأمـر فيـه علـى ... حد السواء فذو نطـق كـذي بكـم [٥]

ومدحتها أيضا لأن فيها من أنواع البديع ما سترى كثرته ، ويأتي بيانه ، إن شاء الله تعالى ، ولا سيما الانسجام الذي هو أرق فنون البلاغة ، وألطف طرق البراعة ، وفيها الجناس بأنواعه ، والسجع والتعديد [٦] والتدبيج ، والطباق [٧] ، والتنسيق وغير ذلك ،

---

[١] ساقطة من " ب " .

[٢] ب : تزل .

(٣) انظر البيتين رقم ٤٣٥ ، ٤٣٦ من القصيدة المذكورة وراجع المنح المكية ٣/ ١٤٤١، ١٤٤٢.

[٤] يحك .

(٥) لم نجد هذين البيتين في النسخ التي وقفت عليها من البردة .

[٦] والترديد في " ب " .

[٧] ب : والاطباق .

وهذه القصيدة لا يدرك بلاغتها إلا أهل الذوق والتمرن [١] في علمي المعاني والبديع ، وذوو الفطر السليمة ، وذلك لأن معرفة البلاغة والفصيح والأفصح والرشيق والأرشق لا تدرك إلا بالذوق ، ولا يمكن وصفها ، ولا إقامة الدليل عليها كاستقامة الوزن والملاحة ، كما أن المرأة التي[هي] [٢] أدون في المحاسن قد تكون أحلى في العيون والقلوب ولا يدرك سبب ، ذلك ولكنه يدرك بالذوق والمشاهدة ، وأهل الذوق ليسوا إلا الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر ، وصارت لهم بذلك ملكة تامة [٣] .

الثالث : إنما استحسنت هذا النغم الحسن الحساني لأنهم قالوا : إن من الأسباب الباعثة على محبته ﷺ سماع الأصوات المطربة بالإنشادات بالصفات النبوية [المعربة] [٤] إذا صادفت محلا قابلا ، فإنها تحدث للسامع أريحية وطربا [لأن الأصوات نفسها لها] [٥] لذة قوية ينغمر فيها العقل ، ومع ذلك تحرك النفس إلى جهة محبوبها ، فيحصل بتلك الحركة والشوق تخيل المحبوب ، وإحضاره في الذهن وقرب صورته من القلب واستيلاؤها [٦] على الفكر ، وفي هذا من اللذة ما يغمر العقل فيحصل للروح ما هو أعجب من سكر الشراب ، وألذ من عناق الشواب .

وقد ورد أن أهل الجنة إذا سمعوا حسن صوت داوود [٧] ـ عليه السلام ـ بتمجيد الله تعالى استغرق نعيم أهل الجنة [٨] ، وأعظم من ذلك إذا سمعوا كلام الرب [تعالى] [٩]

---

[١] ب : والتمرين .

[٢] ساقطة من " ب " .

(٣) انظر فتح الباري ٣٥٥/٦ وما بعدها والمنح المكية ١٠٩/١ .

[٤] ساقطة من " ب " .

[٥] ب : لأن للأصوات نفسها .

[٦] ب : واستيلاؤه .

(٧) انظر فتح الباري ٤١٩/١٣ وما بعدها و ٦٨٩ و ٩٢ .

[٨] ب : الجنة الجنة .

[٩] تعالى ساقطة من " ب " .

وخطابه لهم ، ولا سيما إذا انضم إلى ذلك رؤيته تعالى [1] فإن لذة ذلك تفني عن الجنة ونعيمها بما لا تدركه العبارة ، ولا تحيط به الإشارة [2] .

الرابع : وزن هذه القصيدة ليس من أوزان البحور الستة عشر بزيادة المتدارك إلا أن أشبه البحور بها مشطور مخلع البسيط ، والمتزنة به هذه القصيدة من أجزاء التفعيل : مستفعلاتن مرة واحدة ، وليس من أجزاء تفعيل الشعر المعروفة ، وقد يدخله الخبن وهو حذف الثاني فينتقل إلى مفاعلاتن ، وهو حسن لأنه أخف ويدخله أيضا الطي ، وهو حذف الرابع ، فينتقل إلى [3] مفتعلات ، ومن الشعر الحساني الذي اقترنت به هذه القصيدة :

سولان ابلا اعجب ... يلد اير لا مصيب
منه طفل اعرب ... كون اولد هيب [4]

فإذا تأملت هذا الشعر ، وهذه القصيدة وجدتهما على بحر واحد وبت واحد إلا أن ذلك حساني ، وهذه عربية [5] .

الخامس : هذه القصيدة لها فضل عظيم ، وبركة ، ولا يستنكر ذلك في جنب بركته ﷺ ، وقد وجدت لها بركة عظيمة في مواطن كثيرة ، منها : أني ركبت يوما في بعض سفن النصارى قاصدا " قادير دوم [6] " لأطلع على بعض عجائبه ، فسرنا حتى أقبل الليل فهاجت ريح شديدة [حتى] [7] كادت تكسر السفينة ، حتى [كادوا أن] [8] يوقنوا

---

(١) انظر ما ورد في الرؤية يوم القيامة في الطحاوية وشروحها ١٦٣ ـ ١٦٤ ، ورؤية الله عز وجل وتحقيق الكلام فيها ١٧٩ وما بعدها .

(٢) انظر المنح المكية ٢/٥٦٧ ، ٥٦٨ .

[٣] ب : إلى ساقطة من " ب " .

(٤) يختلف ما ذكر أنه اقترن بهذه القصيدة من الشعر الحساني عما ذكره صاحب الوسيط ص٢٢٣ وانظر المزهر ١/٤٩ وما بعدها ، والعروض القديم في أوزان الشعر العربي وقوافيه ١١٠ وما بعدها . .

(٥) سماه محمذن ولد باباه (بالرسم) انظر الشيخ محمد اليدالي ٢٥ .

(٦) منطقة بناها البرتغاليون على شاطئ المحيط الأطلسي في الصحراء الغربية ، انظر الاستطلاع الذي نشرته مجلة المنهل رجب اكتوبر العدد ٥٦٩ عام ١٤٢١ هـ ص٨٤ـ٨٧ ومحمذن بن باباه ص٢٣ .

[٧] ساقطة من " ب " .

[٨] ساقط من " ب " .

فصاروا يستغيثون من شدة ما نزل بهم ، وأنا وحدي في جانب السفينة لا يؤبـــه بي ، ولا يعرفني أحد ، ولا أعرفه -حتى جعل واحد منهم يردد هذا البيت :

صـــلاة ربي مـــع الســـلام علـــى حبيـــبي خـــير الأنـــام

فسألته عن قائل هذا [١] ، قال : قاله زاوي من أهل القبلة ، لا أعرفه ، فقلت : أنـــا قائله ، وأنشدته بعض القصيدة ، فأقبل علي أهل السفينة كلهم ، فجعلوا يسألونني [عـــن نفسي] [٢] وعن شأني كله ، فأخبرتهم ثم جعلوني في موضع من السفينة لا ينالني فيه شيء ، فمن حينئذ نالتني بركة النبي ﷺ ، ثم سكنت الريح وهدأت والحمد لله ، وبتنا سارين حتى أتينا " قادير " [دوم] [٣] فحملوني على أعناقهم إلى البر ، ولم يبتل مني ولا من لباســـي شيء ، فدخلت القصر وأقبل علي أهله [٤] بالإضافة الحســـنة والإكـــرام [٥] والتعظيـــم ، وأنـــواع التحف والهدايا والكاغد الشاطبي [٦] مما لم أحتسب ولم يخطر لي ببال ، وذلـــك كله ببركة ممدوحه القصيدة ﷺ .

وأطلعني النصارى على بعض [عجائب] [٧] " أقادير " ودعوت رئس النصـــارى إلى الإسلام ، فلم يسلم ولم يبعد [منه] [٨] * رزقنا الله [١٠] الإيمان ودوامه إلى الممات ، ويسـر لي [١١] الله من حملني ومتاعي على جمل إلى أهلي .

---

[١] في " ب " : هذا البيت ، قال .

[٢] ساقطة من " ب " .

[٣] ساقطة .

[٤] كلهم بالضيافة في " ب " .

[٥] سقطت من " ب " .

(٦) يعني الورق المنسوب إلى شاطبة بالأندلس أعاده الله لحظيرة الإسلام ، وأبدي فرحة به لأنـــه لا توجد مصانع للورق ولا الوراقة في بلاد شنقيط الصحراوية وهو مؤلف يحتاج الورق دائمـــا ، انظر محمذن ولد باباه ١٤ و ١٧ وبلاد شنقيط ٢٣٥ .

[٧] في " ب " : غرائب .

[٨] ساقطة من " ب " .

* من علامة كونه داعية إلى الله تعالى ومبلغا للإسلام .

[١٠] في " ب " : وإياكم .

[١١] في " ب " : لي .

ومنها : أني لما أنشدت هذه القصيدة على محاكات الشعر الحساني المذكور وجد علي بعض أعيان المغافرة في تلك المحاكات ، لأن الشعر كان في مدحه ، وذلك في زعامتهم من أشد ما يغيظ أحدهم ، وذلك إذا وجد الشاعر " كرزة " أي قصيدة حسانية في مدح رجل، ثم يحرف [١] بعضها ، [أو يحاكيها] [٢] بأخرى بتا [وريا] [٣] فيمدح بذلك رجلا آخر ، فإنه تعرض لغضبه ، يقولون : فلان نزع " كرزة " فلان ، وجعلها على فلان [٤] ، فكأنه في زعمهم قتله ، أو كاد ، ثم إني لم أزل أسمع أنه تغير علي في ذلك حتى سمع بي ليلة بائتا عند بعض الأحياء فأتاني ، وعلى وجهه أثر الغضب ، فقال لي [٥] : لم نزعت كرزتي وفعلت بي كذا وكذا ؟ فقلت ؛ له نعم نزعتها وجعلتها على أفضل مني ، وأفضل منك ، فلم يزد على أن أطرق[٦] مليا ، ثم رفع رأسه فقال : صدقت ، وأعطاني حينئذ عددا من اللباس ، ثم جعل ذلك العطاء من ساعتئذ وظيفة عليه ، ولم يزل بي حفيا ، ولي محبا وصديقا إلى أن مات رحمه الله تعالى ، ثم توارث [٧] بعد ذلك [٨] أهله ، وإلى الآن [والحمد لله رب العالمين] [٩] وما ذلك كله [١٠] إلا ببركة ممدوح القصيدة ﷺ .

---

[١] في " ب " : حرف .

[٢] في " ب " : ليحاكيها .

[٣] في " ب " : ورويا .

[٤] في " ب " : آخر .

[٥] في " ب " : أنت .

[٦] في " ب " : طرق .

[٧] في " ب " : توارثت .

[٨] في " ب " : بعده .

[٩] ساقط من " ب " ، قال محمذن بن باباه : (جابه الأمراء فاستسلموا له) انظر اليدالي ٢٣ وبلاد شنقيط ٣١٤ .

[١٠] سقطت من " ب " .

السادس : اعلم أن الله تعالى خص نبينا محمدا ﷺ من الأخلاق العظيمة والأوصاف الكريمة بما يبهر العقول ، ولا يستطاع إليه الوصول ، عجز الأولون والآخرون عن إحصائها، وقصرت مداحه عن استقصائها فلم يصلوا إلا [إلى] [1] قل من كل ، وغيض من فيض ، ولما لم تمكن الإحاطة بوصفه الكريم أثنى الله تعالى عليه [2] فقال : (وإنك لعلى خلق عظيم) (3) .

كما قال ابن الخطيب الأندلسي :

مدحتك آيات الكتاب فما عسى ... يثنى على عليك نظم مديح
وإذا كتاب الله أثنى مفصحا ... كان القصور قصار كل فصيح (4)

وقد رئ ابن الفارض في النوم فقيل له : لم لا مدحت النبي ﷺ ؟ فقال :

أرى كل مدح في النبي مقصرا ... وإن بالغ المثنى عليه وأكثرا
إذا الله أثنى بالذي هو أهله ... عليه فما مقدار ما تمدح الورى (5)

وقد قيل :

ماذا عسى الشعراء اليوم تمدحه ... من بعد ما مدحت حم تنزيل (6)

ولما مات الكاتب ذو الوزارتين أبو عبد الله ، رئ بعد موته ، فقيل له ما فعل الله بك؟

فقال : غفر لي بسبب بيتين قلتهما ، وهما في الوسادة ، ففحص عنهما ، فإذا بالوسادة مكتوب فيها :

يا مصطفى من قبل نشأة آدم ... والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما ... أثنا على أخلاقك الخلاق

---

[1] في " ب " : على .

[2] في " ب " : أثنى عليه الله تعالى .

(3) سورة القلم الآية (4) .

(4) انظر المنح المكية 1/104 .

(5) السابق 1/105 وانظر قصيدته المديحة في أزهار الرياض 1/316ـ318 .

(6) السابق 1/103 وانظر نفح الطيب 7/97 وما بعدها ، والمنح المكية 1/104 .